

الوحدة بين المسّامين وأثرها في مواجهة النحديّات الحضاريّة د. عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فقد عاشت الأمة الإسلامية قرونا في ظل الإسلام، تهتدي بهديه، وتنهج نهجه، وتعتر بالانتماء إليه، فاستحقت البقاء والتمكين والاستخلاف، وذلك مصداقاً لوعد الحق تعالى إذ يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(١).

وبلغ الإسلام الآفاق، فانشرحت له صدور كثير من العالمين، تحقيقاً لما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض.»^(٢) الحديث.

(١) سورة النور آية (٥٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن ح/١٩، والترمذي في سننه: كتاب الفتن رقم ٢١٧٦، وقال: حسن، صحيح.

وكان للمسلمين من الهيبة والمكانة ما لا يمكن حده، فبنى المسلمون حضارة عظيمة، مكتملة الأسس والبناء، وسادت هذه الحضارة مدة طويلة، سارت بها الركبان، وأصبحت ملء السمع والبصر.

ثم خلفت خلوف من المسلمين، ركنوا إلى الأرض والدنيا، بل ركنوا إلى الذلة والمهانة، أهتمهم أنفسهم ومصالحهم، ففرقوا المسلمين فكراً وواقعاً، وأنزلوهم هذه المنزلة المهينة: الضعف بعد القوة، والجهل بعد العلم، والتأخر بعد التقدم، والافتقار بعد الغنى، والفرقة بعد الاجتماع.

فتبددت تلك الوحدة بكل مقوماتها، وتلاشت، أو كادت، وأصبحنا كما قال حافظ إبراهيم:

لم يبق شي من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر فانفطرت وفي عيون العلا كنا رياحينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزرا وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا

ولكن المستقبل للإسلام - بإذن الله -، والمسلم لا ييأس من رحمة الله بالمسلمين، فيجمعهم بعد هذا التفرق، ويعيد لهم ذلك المجد التليد.

واقرأوا إن شئتم قول الحق تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣).

وفي الحديث عن تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يلبغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز، وبذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر». (٢)

غير أن الأمر يحتاج إلى جهود مضيئة ومتواصلة، وإلى جهاد وتضحية. وفي الورقات التي بين يديك - أخي القاريء - لمسات خفيفة على جروح

(١) سورة التوبة آية (٣٣)، والصف آية (٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١٠٣/٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤/٦: رجاله رجال الصحيح.

عميقة، وأدواء أليمة في جسم الأمة الكبير، تحاول تضييد تلك الجراح، وعلاج تلك الأدواء.

ولذا جاء العرض بأسلوب وصفي تحليلي، ذي تأصيل بناء. أقدمها للأخوة القراء، رجاء أن يجدوا فيها مايروي غلتهم، ويساقو طموحهم.

وذلك في مبحثين:

الأول: عن الوحدة بين المسلمين. وفيه المطالب الآتية:

١ - مفهوم الوحدة وحقيقتها.

٢ - منزلتها في الشرع.

٣ - أسس الوحدة.

٤ - أهداف الوحدة.

٥ - وسائل تحقيقها.

٦ - معوقاتهما.

المبحث الثاني: في أثر الوحدة في مواجهة التحدي الحضاري. وفيه المطالب الآتية:

١ - أثرها في مواجهة التحديات الفكرية.

٢ - أثرها في مواجهة التحديات الاجتماعية.

٣ - أثرها في مواجهة التحديات السياسية.

٤ - أثرها في مواجهة التحديات المادية.

ثم خاتمة. وبعدها قائمة بأهم المصادر والمراجع. وأسأل الله التوفيق.

الخاتمة

إذا كان لكل بداية نهاية وخاتمة .

فإني أختتم هذه الورقات بتنبيه ورجاء :

* أما التنبيه فإلى مسألة خطيرة ذات صلة وثيقة بالموضوع .

ذلك أن بعضاً قد يفهم من الاتحاد والتقارب والتآلف أنه قيمة إنسانية عامة، يجب أن يتعامل بها الناس كلهم - على اختلاف مللهم - سواء في ذلك المسلمون والنصارى واليهود والملحدون والمشركون، ومن هنا يرددون أو ينادون بالشعارات التي ترفعها المنظمات المشبوهة: كالتعايش السلمي، والأسرة الدولية، والإنسانية، والعالمية، أو تعايش الثقافات، وزمالة الأديان، ولعل من أحدثها: النظام العالمي الجديد .

وما علم هؤلاء المنادون من أبناء الإسلام أن هذه النداءات وتلك الشعارات ذات مضامين إلحادية - أيا كانت مظاهرها - لأنها تسعى إلى إذابة الأديان وإلغائها .

ولئن كان ذلك مستحيلاً، لكن يكفي أن يوجد في المسلمين من يؤمن بها ويلهث وراءها، وينفث سمومها بين المسلمين .

ولقد تظهر تلك الدعوات بمظهر إنساني بحت، فحواء التعاون في أمور الحياة بغض النظر عن الدين، ولكن الحقيقة واحدة، والهدف واحد^(١) .

فإلى أصحاب الضمائر الحية والقلوب المؤمنة أوجه النظر إلى ذلك، وأدعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر من مكر العدو وكيده .

ولتكن الوحدة والتقارب والتآلف والتحاب بين المسلمين خاصة .

﴿يَتَأَيَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(٢) .

(١) يراجع: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم: للشيخ عبدالرحمن الدوسري ٢٦٢/٤ فما بعدها

(٢) آخر سورة الممتحنة

* وأما الرجاء فيألى علماء المسلمين ودعاتهم:

فأنتم مفاخر الأمة، وقدوة الناس، وقادتهم إلى طريق الحق والصلاح.
وأنتم المرجع في حالات الخلاف والشقاق، والاشتباه والارتياب.
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
فهل نطمع في جمع الكلمة، وتوحيد الصف، وأنتم في معزل؟
كلا.

وهل نطمع في اجتماع للشعوب المسلمة وأنتم مختلفون؟
كلا.

فمنكم - إذن - يبدأ العمل، وإليكم ينتهي.
والله الموفق، والمسؤول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، ويؤلف بين
قلوبهم. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خلاصة البحث

(الوحدة بين المسلمين، وأثرها في مواجهة التحديات الحضارية)
الاتحاد بين المسلمين وتآلفهم وتعاونهم على البر والتقوى مطالب شرعية مؤكدة، جاءت الشريعة بترسيخها في النفوس، وتعزيزها في عالم الواقع.
فإذا كان المسلمون أمة واحدة، وذمتهم واحدة، وقبلتهم واحدة فهم أجدر الأمم على التقارب، بل على الاجتماع والاتحاد.
وقد أصبحت هذه القيم أحلاماً في عالم اليوم، إذ لا يكاد المسلم يقف على شيء من ذلك، اللهم إلا ما قد يتصوره ذهنه في عالم الخيال، أو يترأى له في الأحلام، أو يستذكره في تاريخ المسلمين في القرون الإسلامية الأولى.
نعم بقي أمور من مقومات الوحدة، قد تكون دافعاً إلى الاتحاد الشامل والحقيقي، مثل: الانتماء الإسلامي، والحج، والقبلة.
فهل يستطيع ذوو الحل والعقد والعقل والنهي من المسلمين أن يعيدوا تلك الوحدة الحقيقية؟ ذلك ما نتمناه.
وفي هذا البحث الموجز محاولة لإعطاء تصور شامل للوحدة بين المسلمين: مفهوماً، وأهميتها، وأسسها، وأهدافها، ووسائل تحقيقها، ومعوقات وجودها، ثم أثر هذه الوحدة في مواجهة التحديات الحضارية، التي أخذت تفرض وجودها في المجتمعات الإسلامية، وعلى كافة الأصعدة.
فلعل مثل هذا البحث يساعد على التفكير في هذه القضية المصيرية.